

المبحث الثاني التنشئة الفكرية

تمهيد:

الدور التربوي للوالدين في التنشئة الفكرية للمراهقة:

أولاً: توجيه طاقة الفتاة العقلية إلى التأمل في حكمة الله الخالق المدبر وتدييره.

ثانياً: توجيه طاقة الفتاة العقلية إلى التدبر والنظر في حكمة التشريع.

ثالثاً: توجيه طاقة الفتاة العقلية إلى طريقة إقامة المجتمع الصالح.

رابعاً: توجيه طاقة الفتاة العقلية إلى النظر في سنن الله في خلقه.

خامساً: توجيه عقل الفتاة إلى استخلاص الطاقة المادية وتذليلها لخدمة نفسها وغيرها.

سادساً: متابعة تحديد مجال نظر الفتاة العقلي.

سابعاً: تدريب طاقة الفتاة العقلية على طريقة الاستدلال المثمر والتعرف على الحقيقة.

ثامناً: توسيع قاعدة فكر المراهقة، وتفسير الحقائق لها، وتزويدها بأفكار أساسية وكلية عن الحياة، والإجابة عن تساؤلاتها.

تاسعاً: تحويل ما لدى الفتاة من مثل عليا إلى حقيقة واقعية، والحيلولة بينها وبين أن تصبح أحلام يقظة.

عاشراً: العناية بصحة عقل المراهقة.

حادي عشر: إتاحة الفرصة للفتاة للأخذ بأسباب العلم.

ثاني عشر: تنمية ثقافة الفتاة وتوعيتها فكرياً.

التنشئة الفكرية

تمهيد:

التنشئة الفكرية من الجوانب الهامة في التنشئة؛ وذلك لأن التقدم العلمي والحضاري متوقف عليها. وهي مهمة في حياة الأفراد والجماعات؛ ذلك أن عقل الإنسان هو رأس ماله في الحياة، ولا سيما لمن يحسن استخدامه^(١). وللعقل في الإسلام منزلة كبيرة توجب على الوالدين - من خلالها - أن يعتنوا بتربية عقل الفتاة - وخاصة في هذه المرحلة من عمرها - عناية تساوي هذه المنزلة؛ وذلك لما يتميز به النمو العقلي في مرحلة المراهقة من النضج، والاطراد في نمو الذكاء، وسرعة التحصيل، ونمو القدرة على التعلم، والانتباه، والتذكر المعتمد على الفهم، والقدرة على اكتساب المعلومات والمهارات، وقوة الحافظة، وازدياد القدرة على التفكير والاستدلال والاستنتاج وحل المشكلات، والقدرة على التحليل والتركيب والابتكار، ونمو الإدراك من المستوى الحسي المباشر إلى المستوى المعنوي، وزيادة القدرة على التخيل والتصور المجرد، وزيادة دقة القدرات العقلية في التعبير^(٢).

الدور التربوي للوالدين في التنشئة الفكرية للمراهقة:

ومن الجوانب التي ينبغي للوالدين أن يولياها مزيداً من العناية في مرحلة المراهقة - مع متابعة ما ورد في مبحث التنشئة الفكرية للطفلة في الجزء الأول - وذلك لتنشئة الفتاة تنشئة فكرية إسلامية ما يأتي:

(١) بناء البيت السعيد في ضوء الإسلام، مقداد يالجن، ص: ١٦٨.

(٢) علم نفس النمو، حامد عبد السلام زهران، ص: ٣١٣ - ٣١٥.

أولاً: توجيه طاقة الفتاة العقلية إلى التأمل في حكمة الله الخالق المدبر وتدبيره:

في مرحلة المراهقة ينمو إدراك الفتاة من المستوى الحسي إلى المستوى المعنوي، وينمو الانتباه، وتزداد القدرة على التفكير والتخيل والتصوّر المجرد المبني على الألفاظ، وتزداد القدرة على الاستدلال والاستنتاج والتحليل، وتتحول المراهقة من التفكير المادي إلى المعنوي^(١)، فعندما يربي الوالدان الفتاة ويعودّانها على التأمل في حكمة الله وتدبيره؛ فإنهما سوف يطبعانها بطابع الدقة والنظام، وذلك لأن حكمة الله سبحانه، ونواميسه، وتدبيره، تجري على سنن ثابتة، ونظام دقيق لا يتخلف ولا يختل^(٢).

كما يلزم الوالدين تذكير الفتاة دائماً - لإصلاح قلبها - بأن الكون لم يوجد مصادفة، ولم يوجد باطلاً، ولم يوجد عبثاً، ويدل على ذلك قوله - تعالى -: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٧٣]، وقوله - تعالى -: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الحجر: ٨٥]، إلى غير ذلك من الآيات الكريمة الدالة على ذلك.

وكذلك الإنسان منذ نشأته، إلى رجوعه، إلى توفيته الجزاء يوم الجزاء، قائم بالحق في كل مرحلة، محاط بالحق في كل خطوة، لا باطل في خلقته، ولا عبث، ولا لهو، ولا انحراف، حيث يقول - عز من قائل -: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]، كما يذكر أنها بأن القرآن الكريم ذاته هو الحق، ونزل بالحق، لقوله - تعالى -: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ [الإسراء: ١٠٥]، ففي هذا الجو المشبع بالحق يربي الوالدان نفس الفتاة، فيتعمق في شعورها الإحساس بالحق، حتى يصبح هو العقيدة، ويصبح هو الحياة^(٣).

(١) المرجع السابق والصفحات؛ والمراهقون، عبد العزيز محمد النغمشي، ص: ١٥ - ١٨.

(٢) تربية الناشئ المسلم، علي عبد الحليم محمود، ص: ٢٧٩.

(٣) منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، ١/ ٧٩ - ٨١.

ثم لا بد أن يدعواها إلى ألا تقف عند المعرفة الذهنية، وإنما تحرك قلبها وروحها بالتسبيح، لقوله - تعالى -: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ﴾ [آل عمران: ١٩١]، وألا تقف عند التسبيح المجرد، بل لا بد أن تصل من ذلك إلى الإيمان الكامل الذي يشمل حياتها كلها، وأعمالها، ومشاعرها، وأفكارها، والمتمثل في قوله - تعالى -: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [١٩١] رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخُلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَبَّنَا إِنَّنا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ [آل عمران: ١٩١ - ١٩٥]، ومن ثم يوضحان لها بأن هذه الآيات هي المنهج الكامل للتأمل الإسلامي في ملكوت الله، حيث تبدأ بالتفكير، وتنتهي بالعمل، ثم تصل إلى الغاية القصوى حيث الجزاء في الآخرة^(١)، ويدعوانها إلى التأمل في الخلق والتدبير لكي تعتاد الحق، وتلتزمه في حياتها، وتستعين به في ممارسة الحياة على أحسن نحو ممكن يحفظ لها كرامتها، ولكي تكون طالبة للحق، محبة له، متواضعة فيه، صابرة عليه، وتتخذ شعاراً فيما تأتي وما تدع من الأمور، فتنال بذلك سعادة الدنيا والآخرة^(٢).

ومن المستحسن أن يدعو الوالدان الفتاة إلى النظر في الكون من زاوية أنها وُلدت فيه من جديد، ولم تعرف منه شيئاً من قبل؛ لأنها في هذه الحالة إن أحسنت النظر والتأمل فسوف تجد أن لكل شيء صورة حية تتحرك، وتثير

(١) منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، ١/ ٨٣.

(٢) تربية الناشئ المسلم، علي عبد الحليم محمود، ص: ٢٧٩، ٢٨٠.

انتباهها ومشاعرها، وتدعو عقلها إلى التساؤلات والاستفهامات إلى ما لا نهاية له؛ مما يدفع عقلها إلى البحث عن الحقيقة، وعن أسباب تلك الظواهر المدهشة، وهذا بدوره يحرك عقلها، ويوقظه من سباته ونومه وغفلته، وإذا تحرك العقل ونشط، وعمل بأسلوب منظم وتنظيم موجه تتسع مداركه، وتقوى عملياته وفاعليته، ويصل إلى حقائق، ويكشف عن أسرار ما كان له أن يكشفها بهذه الدرجة وبتلك المقادير لو بقي على سباته وعلى خموله، ويوضحان لها بأن الذين يحيون حياة نشطة ويقظة ومثارة، هم هؤلاء الذين أثارت الطبيعة عقولهم، ومشاعرهم، وإحساساتهم، وقلوبهم من الأدباء، والعلماء، والمفكرين.

ومن ثم يحذرانها أن تنظر للكون من زاوية الألفة؛ لأنه سيكون في نظرها طبيعة ميتة، وأمرًا معتادًا مألوفًا لا يثير انتباهها، ولا يحرك مشاعرها، وكأنه ليس هناك أمر غريب عليها مع غرابة كل شيء فيه؛ وبذلك سوف تكون بليدة في تصرفاتها، وفي نظرتها إلى الكون والحياة، وتعيش بليدة العقل، غليظة الشعور، وكما يكون عقلها وشعورها وإحساساتها بليدة تكون - نتيجة لذلك - حياتها كلها بليدة جامدة وكأنها حياة بدون حياة؛ لذلك كان على الوالدين أن يذكروا الفتاة بالأدلة التي أثار الإسلام بها انتباه العقول، وأثار بها المشاعر والإحساسات إلى هذا الكون، وإلى هذه الطبيعة الحية، ليكون المسلمون واعين متيقظين إلى العالم المحيط بهم، عارفين الله فيه حق معرفته، وعارفين حقائقه ونظمه، فيتفهموا به^(١)، ومن هذه الأدلة - على سبيل المثال - قوله - تعالى - : ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۖ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۖ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۖ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۖ ﴾ [الغاشية: ١٧ - ٢٠]، وقوله - تعالى - : ﴿ قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [يونس: ١٠١].

(١) بناء البيت السعيد في ضوء الإسلام، مقداد يالجن، ص: ١٧٥، ١٧٦.

وأخيراً: يوضحان لها بأن متعة الحياة ليست في الحياة الحسية فقط كما يفهمها كثير من البشر، بل إن المتعة الأعمق، والحياة الحقيقية هي إدراك حقيقة الكون، وحقيقة الحياة وأسرارها ومغزاها^(١).

ثانياً: توجيه طاقة الفتاة العقلية إلى التدبُّر والنظر في حكمة التشريع:

فلا بد أن يؤكد الوالدان للفتاة بأن التشريع منزل من عند الله - سبحانه وتعالى - لحكمة معينة، وهي إقامة العدل والحق بين الناس في الأرض، ومن ثم يدعوانها إلى ما دعاها إليه الإسلام من ضرورة التفكير، والتأمل، والتدبُّر في هذه الحكمة وما جاء في هذا التشريع، حتى يكون تطبيقها له بعد علم، ومعرفة، واقتناع؛ مما يدفعها إلى أن تطبقه كاملاً غير منقوص، وعن يقين غير مصحوب بأدنى شك، قال - تعالى -: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، كما يوضحان لها بأنه منزل من عند الله ولكن القائمين به هم البشر، لذلك ينبغي أن يكون البشر - وهي منهم ومعهم - واعين لحكمة التشريع؛ وإلا فلن يطبقوه على تمامه وعلى وضعه الصحيح، فالحياة لا تسير آلية بحيث تنطبق عليها القاعد التشريعية انطباقاً آلياً، وإنما هناك مئات من الحالات للقاعدة الواحدة، كما يعرفانها بأن القرآن قد عني بأن يوقظ العقل البشري لتدبُّر آيات التشريع وفهمها ووعيتها حتى يستطيع تطبيقها على خير وجه^(٢)، ومن هذه الآيات - على سبيل المثال لا الحصر - قوله - تعالى -: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩]، وقوله - تعالى -: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٤].

(١) المرجع السابق، ص: ١٧٨.

(٢) منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، ٨٧/١.

ويوضح الوالدن للمراهقة بأن هناك تشريعات متعلقة بأمور متغيرة في الحياة البشرية قد اقتضت حكمة الله فيها أن يشمل التشريع الأسس والمبادئ دون التفاصيل؛ لأن أية تفاصيل ستكون موقوتة بفترة معينة، بينما الأسس والمبادئ هي الإطار الذي ينبغي أن تسير الأمور في حدوده، متجددة بتجدد كل عصر، ودرجته من العلم، وصورة المجتمع الذي يعيش فيه، ملتزمة مع ذلك بالإطار العام لا تخالفه ولا تخرج عنه.

ومما ينبغي كذلك أن يوضحه الوالدن للفتاة بأن التشريع دائماً ممتزج بالتوجيه إلى الله، بحيث لا تكاد تخلو أية تشريعية في القرآن كله من ذكر الله، والتوجيه إلى خشيته، والترغيب في مثوبته ورضاه، وأن من مزايا هذه العقيدة الكبرى أنها أطلقت العقل البشري يعمل في أوسع نطاق متاح على الأرض، وأعطته حق التفكير، والتدبر، والاجتهاد حتى في أمور التشريع، وكان من آيات الإسلام الكبرى أنه في دعوته إلى الإيمان بالله خاطب العقل، ووعاه، وأيقظه، وناقشه، وجعله يشترك في عملية الإيمان الواعية الجديرة بالإنسان الذي كرمه الله بالأفئدة، والأبصار، وما ذاك إلا ليربي هذا العقل تربية صحيحة، تمكنه دائماً من أن يجلب لنفسه ولغيره مصلحة الدين والدنيا، ويدفع عن نفسه وغيره أي ضرر يعود عليه في دينه أو دنياه كذلك^(١).

ثالثاً: توجيه طاقة الفتاة العقلية إلى طريقة إقامة المجتمع

الصالح:

وذلك بتنبئها على أنه لا بد للمجتمع من سياسة ينفذها الحاكم والشعب على التشاور بينهما والتضامن، وذلك متمثل في قوله ﷺ: «ألا كلكم راع

(١) تربية الناشئ المسلم، علي عبد الحليم محمود، ص: ٢٨٥؛ ومنهج التربية الإسلامية، محمد قطب، ١/ ٨٧ - ٨٩.

وكلكم مسؤول عن رعيته»^(١)، وما لم تكن هذه السياسة واعية؛ فإن الفساد يتطرق للمجتمع، وتنهار الدولة، ويستولي عليها الأعداء، كما ينبهانها بأن كل فرد في الأمة المسلمة مطالب بالرقابة على المجتمع، ومسؤول عن كل ما يقع فيه، وإلا أصابه جزاء غفلته، ولو لم يكن هو ذاته من الظالمين؛ لقوله - تعالى -: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥]، وقوله - تعالى -: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾^(٢) ﴿٧٨﴾ ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩]، كما يدل على ذلك قوله ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»^(٣)، كما يوضحان لها بأن التكافل في المجتمع، والرقابة على سير الأمور فيه، يقتضيان وعياً كافياً، ويستلزمان عقولاً ناضجة، وبصيرة بالأعداء المتربصين، وبقظة لمؤامراتهم ودسائسهم، كما يقتضيان حسن التصرف في الأمر حين تشيع الشائعات، وحسن الحكم على الأشياء والأشخاص، وعدم التسرع في إصدار حكم على أمر لم تتبين كل خطوطه. وباختصار يفهمانها بأن إقامة المجتمع الصالح لا تتم إلا عن طريق طاعة الله ورسوله، وطاعة أولي الأمر فيما يهتدون بهدي الله ورسوله^(٣).

ويحسن أن يقوم الوالدان بذلك في هذه المرحلة من عمر المراهقة؛ لأنها في هذه الفترة تتحول من التفكير الفردي البحت إلى التفكير شبه الجماعي^(٤)، وتنمو لديها المفاهيم المعنوية مثل الخير، والفضيلة، والعدالة... إلخ^(٥).

(١) أخرجه البخاري، ك/ العتق، ب/ كراهية التطاول على الرقيق، رقم ٢٥٥٤؛ ومسلم، ك/ الإمارة، ب/ فضيلة الإمام العادل...، رقم ١٨٢٩، واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم، ك/ الإيمان، ب/ بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، رقم ٤٩.

(٣) منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، ١/ ٩٠، ٩١.

(٤) المراهقون، عبد العزيز محمد النغمشي، ص: ١٦.

(٥) علم نفس النمو، حامد عبد السلام زهران، ص: ٣١٥.

رابعاً: توجيه طاقة الفتاة العقلية إلى النظر في سنن الله في خلقه:

وذلك عن طريق اطلاع الفتاة على هذه السنن الإلهية في مخلوقات الله - سبحانه - لكي يتعرف عقلها على التاريخ وما فيه ومن فيه؛ فيفيد من ذلك ما يزيده قدرة، وينمي فيه الإحساس بهذه السنن، فيحسن التعامل مع حاضره، ويحسن التوجه إلى مستقبله^(١)، وكذلك عن طريق تذكيرها بالآيات القرآنية التي توجه عقلها إلى النظر في سنّة الله في الأرض، وأحوال الأمم والشعوب على مدار التاريخ، ومنها على سبيل المثال قوله - تعالى -: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٧] (٢)، وقوله - تعالى -: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [الأنعام: ١١] .

ويبينان لها بأن هذه الدعوة المتكررة في الآيات تلفت النظر وتلح على الناس أن ينظروا في تاريخ من قبلهم، ويدرسوا عوامل الفناء والبقاء في المجتمعات دراسة واعية للنظر والاعتبار، وللاستفادة من تجارب البشرية السابقة، كما يؤكدان لها بأن السير في الأرض للتعرف على سنن الله - تعالى - في خلقه من أجل الاعتبار مندوب إليه شرعاً، وأن إقناع العقل بالحق ليس له طريق أحسن من طريق التأمل والنظر في سنن الله - سبحانه - مع من كذبوا الحق وعاندوا الرسل مهما كان هؤلاء المعاندون أقوياء، وسننه مع من صدقوا بالحق وآمنوا بما جاءت به الرسل مهما كان هؤلاء المصدقون المؤمنون ضعفاء، وأن الله - سبحانه - وتعالى - قرّر ذلك لتعتبر العقول، وتنبه الأفهام، وضرب لذلك الأمثال .

ومن الأمثال التي ضربها الله - سبحانه - وتعالى - في القرى، وتؤكد ضرورة

(١) تربية الناشئ المسلم، علي عبد الحليم محمود، ص: ٢٧٥ .

(٢) ﴿سُنَنٌ﴾: وقائع في الأمم المكذبة، انظر: كلمات القرآن، حسنين مخلوف، ص: ٥١ .

النظر والتأمل في سنن الله في خلقه، وأخذ العظة والعبرة، والتي ينبغي للوالدين عرضها على الفتاة: قوله - تعالى - في الفراعنة الأقوياء المعاندين: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ (١٣٠) فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣١) وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لَتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (١٣٢) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ (١٣٣) وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٣٤) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بِالْغَوَى إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ (١٣٥) فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿ [الأعراف: ١٣٠ - ١٣٦] (١)، وقوله - جل وعلا - في المستضعفين من بني إسرائيل الذين صبروا على الشدائد، وتحملوا من بطش فرعون بهم ما تحملوا، وذلك قبل أن يضلوا فيطلبوا إلهاً كما للمشركين آلهة، وقبل أن يعبدوا العجل، وقبل أن يعاندوا موسى - عليه السلام -: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿ [الأعراف: ١٣٧] (٢).

ومن ثم يوضحان لها أن تلك سنة الله - سبحانه وتعالى - في الذين كذبوا وعصوا، وفي الذين صدقوا وأطاعوا، ما تخلّفت، ولا تغيّرت، ولا تبدّلت مصداقاً لقوله - تعالى -: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾

(١) ﴿بِالسِّنِينَ﴾: بالجدوب والقحوط، ﴿طَائِرُهُمْ﴾: شؤمهم عقابهم الموعود في الآخرة. انظر: كلمات القرآن، حسنين مخلوف، ص: ١١٢.

(٢) ﴿يَعْرِشُونَ﴾: من الجنات أو يرفعون من الأبنية، انظر: المرجع السابق، ص: ١١٣.

[الأحزاب : ٦٢] ، وأن سنة الله - سبحانه - اقتضت أن يكون الناس أمام منهج الله - سبحانه - الذي جاءت به رسله - عليهم السلام - صنفين : إما أهل هدى أعملوا عقولهم ونظروا فاهتدوا ، وإما أهل ضلال عطّلوا عقولهم ولم يعتبروا فضلوا وضاعوا ، وأن سنة الله في الذين يهتدون أن يأتي بعد الهدى الخير في الدنيا بالتمكين للحق وأهله ، والخير في الآخرة برضا الله وجزيل ثوابه ، كما أن سنة الله في الذين يضلّون أن يأتي بعد الضلال الشر والفساد والانحلال في الدنيا ، ولو ظلوا يقاومون ويعاندون ، ولو ظلوا متماسكين فترة من الوقت يبهرون الأنظار ، كما أن الخسران ينالهم في الآخرة .

ومهما يكن أهل الهدى والحق من الضعف المادي ، والقلة العددية ، ومهما يكن أهل الباطل والضلال من القوة المادية والكثرة العددية ؛ فإن هذه سنة الله في أولئك وهؤلاء لا تختلف أبداً^(١) ، فليست العبرة بالقوة المادية ، وليست بإثارة الأرض واستغلال مواردها ، وليست بالتمكين المادي ، وليست بتغيير وسائل الإنتاج ، إنما العبرة بالنفس من داخلها مهتدية أم غير مهتدية ، مستغلة لقوى الأرض المادية في سبيل الخير أم في سبيل الشر^(٢) .

ويرشد الوالدن الفتاة بضرورة تعاملها مع عقلها بطريقة تجعله يهتدي إلى هذه السنن الإلهية التي لا تختلف ولا تتبدل ، وفي نفس الوقت لا ينخدع بما يرى عليه أهل الباطل من سطوة وسلطة في تحدي الحق وأهله ، وأن يوجهها إلى أن تفتح بصيرة قلبها على عوامل التطور الحقيقية في المجتمعات ، وأن تستخدم طاقته الواعية في تدبرها ، والبحث في أسبابها ونتائجها ، بما يعرض عليها من الأمثلة التاريخية المتعددة ، والتي تحققت فيها سنة الله الخالدة ، وأن يطالبها ألا تستعجل

(١) تربية الناشئ المسلم ، علي عبد الحليم محمود ، ص : ٢٧٧ .

(٢) منهج التربية الإسلامية ، محمد قطب ، ٩٧ / ١ .

النتائج ؛ فهي لا بد آتية حسب السنة الماضية التي لا تتبدل ؛ فقد ينتصر الباطل فترة من الوقت ، ولكن هذا ليس نهاية المطاف ، بل هو جزء من سنة الله ؛ قد يكون لأن الناس ضعفوا ، واستكانوا ، ولم يطلبوا التغيير ، في حين يقول - سبحانه - : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ [الرعد : ١١] ، وقد يكون فتنة للذين ظلموا ، مصداقاً لقوله - تعالى - : ﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [النحل : ٢٥] ، وقد يكون الله يريد أن يمحس المؤمنين ، ليحملوا العبء على سلامة ، وتمكّن ، واستعداد ، كما قال - سبحانه - : ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [١٣٩] إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٩ - ١٤١] ^(١) ، وقد يكون . . وقد يكون . . ولكن السنة دائماً واحدة لا تتبدل ؛ ولذا كان لا بد أن يوجه الوالدان الفتاة إلى أن تدرس التاريخ ، وأن تتأمله لتحفظ هذه العبرة ، ولتستفيد منها في تصحيح منهجها ، والاهتداء إلى سواء السبيل ^(٢) ، وأن تسير على ما دعا إليه الإسلام من الاستقراء ، والفحص الدقيق لحقائق الأشياء كقوله - تعالى - : ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ [١٧] وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴾ [١٨] وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴾ [١٩] وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ [الغاشية : ١٧ - ٢٠] ، ففي هذه الدعوة إعمال للعقل ، وتدريب له على أن يشارك في إدراك حقائق الأشياء ، وفي هذا ما فيه من تربيته ، وتعليمه ، وهدايته للحق ليصبح أقوى إيماناً ^(٣) .

(١) ﴿ وَلَا تَهِنُوا ﴾ : لا تضعفوا عن القتال ، ﴿ قَرْحٌ ﴾ : جراحة يوم أحد ، ﴿ نُدَاوِلُهَا ﴾ : نصرفها بأحوال مختلفة ، ﴿ وَلِيُمَحِّصَ ﴾ : ليصفي من الذنوب أو ليختبر ويبتلي . انظر : كلمات القرآن ، حسنين مخلوف ، ص : ٥١ .

(٢) منهج التربية الإسلامية ، محمد قطب ، ١ / ٩٦ ، ٩٧ .

(٣) تربية الناشئ المسلم ، علي عبد الحليم محمود ، ص : ٢٧٧ ، ٢٧٨ .

خامساً: توجيه عقل الفتاة إلى استخلاص الطاقة المادية، وتذليلها لخدمة نفسها وغيرها؛

وذلك مصداقاً لقوله - تعالى -: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [الأعراف: ١٦٠]، وقوله في آية أخرى: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ [الملك: ١٥] (١).

وعندما يوجه الوالدان عقل الفتاة إلى ما وجهه إليه الإسلام عليهما أن يحذراها من أن تفتتن بهذه الطاقة المادية، أو أن تشعر بأنها خلاصة الحياة، بل تنتفع بشمارها من غير أن تكون عبدة لها، ولا منجرفة في طريقها، كما يبينان لها بأن هذه هي النقطة الحاسمة فيما بين الإسلام وغيره من النظم والعقائد والأفكار، ويذكرانها كيف نشأ الإسلام في البادية العربية، في بلاد لا تعرف من الحضارة المادية إلا القليل، ثم بعثها بعثاً عنيفاً، فإذا هي تنشط في كل ميدان من ميادين النشاط البشري: في العلم والعمل، وفي الحرب والسياسة، وفي الفقه والتشريع، وفي الطب، والفلك، والطبيعة، والكيمياء، والرياضيات، ومن ثم كانت منجزات المسلمين سبباً في قيام نهضة أوروبا الحديثة التي تنكرت لمن تتلمذت على أيديهم في الأندلس، وغير الأندلس، وراحت تحاربهم، وتجليهم من الأرض، ثم تستعمرهم أبشع استعمار، أو بالأصح تُهدمهم أبشع تهديم.

ومن أهم ما يجب أن يوضحه الوالدان للفتاة أن هذا التقدم المادي - الذي قطع فيه المسلمون أشواطاً عظيمة - لم يفتنهم قط، ولم يخرج بهم عن إنسانيتهم، فلم ينقطعوا عن الله ومنهجه وعبادته والسير على هداه، ولم ينقطعوا عن عالم الروح، ولم يستغلوا علمهم في سبيل الشر، كما أن هذا التقدم المادي لم يحوّلهم إلى المادية الكريهة التي تسيطر - اليوم - على الغرب، ولم يفتنهم فينبذوا أخلاقهم

(١) ﴿مَنَاكِبِهَا﴾: جوانبها أو طرقها، انظر: كلمات القرآن، حسين مخلوف، ص: ٤٤٤.

جانباً بحجة أنهم تقدميون، بل سار العلم في ظلال العقيدة، يكشف ويصل كل يوم إلى جديد، وهو ماضٍ في طريق الخير؛ لأنه سائر في طريق الله^(١).

سادساً: متابعة تحديد مجال نظر الفتاة العقلي:

بحيث يعمل الوالدان على صيانة الطاقة العقلية للفتاة - والتي صانها الإسلام - أن تتبدد وراء الغيبيات التي لا سبيل للعقل البشري أن يحكم فيها، وأن يربيا عقلها تربية واقعية عملية تعود عليه وعليها بالخير والنفع في الدنيا والآخرة، وذلك بإعطائها نصيبها - الذي أعطاها إياه الإسلام - من هذه الغيبيات بالقدر الذي يلبي ميلها للمجهول^(٢)، ولا يسمحان لها، ولا يدعانها تشتط وتجنح، فتورط نفسها فيما لا تقدر عليه، وفيما لم تخلق ميسرة له، وأن يبينوا لها بأن الجنوح إلى ذلك له عدة سلبية منها:

- تبديد الجهد والطاقة في غير فائدة.

- إعطاء فرصة للعقل بأن يخطئ ويضطرب، ويشعر بالعجز والحيرة فيدخل بذلك في الضلال.

- تعويد العقل الجنوح، والاشتطاط، والدخول في أمور لا طائل من وراء الدخول فيها، مما يصيبه بالقلق من أجل تعلقه دائماً بالخيال والوهم وما لا وجود له في الواقع.

ومن الأمثلة التي يمكن أن يضربها الوالدان للفتاة مما لا يطيق عقل الإنسان السير فيه تصور ذات الله - سبحانه وتعالى - شكلاً، أو حيزاً، أو بداية، أو نهاية، فيؤكّدان لها بأن التفكير في ذلك لا يجدي شيئاً؛ لأن الإنسان لم يهيأ له^(٣).

(١) منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، ٩٨ / ١ - ١٠٠.

(٢) المرجع السابق والجزء، ص: ٧٧.

(٣) تربية الناشئ المسلم، علي عبد الحليم محمود، ص: ٢٦٦، ٢٦٧.

كما يوضحان لها بأن كل الذين تكلموا في ذات الله - سبحانه - من المفكرين وغيرهم لم يصلوا من وراء ذلك إلى شيء، فكان عملهم هذا سبباً في ضلالهم، وفي فتنة من جاؤوا بعدهم ممن أخذوا بكلامهم؛ لأنهم أقحموا عقولهم بما لم يخلقها الله - تعالى - له، ولا هيأ لها التفكير فيه، ولا أعطاهما القدرة على الوصول منه إلى طائل، كما يبينان لها بأن ذلك ليس معناه أن الإسلام يحجر على العقل أو الفكر، وإنما معناه تسديد مسار العقل حتى لا يدخل في متاهات تضره ولا تنفعه، وإنما فعل الإسلام ذلك عصمة للعقل عن الضلال والضياع، وإقناعاً له بأن من الحق أن يتوقف عند حدود ما فطره الله عليه، ومكّنه منه.

كما ينبغي أن يبينّا لها أن الوقوف عند هذه الحدود هو أدب الصالحين من أسلاف المسلمين رضي الله عنهم، ويؤكد لها بأن الإسلام شجّع على أعمال الفكر والتفكير، بل اعتبر ذلك من العبادة ما دام التفكير فيما يقدر عليه العقل مما هيئ له، كما أنه سمح لعقل الإنسان أن يفكر في أمور عديدة مما يحيط به، ومما تقع عليه حواسه، ليؤمن بقدرة الله، وعظيم خلقه، وجليل صنعه، بل وأوجب عليه أن يفكر في أمور الدنيا ليعمر الأرض، ويدل على ذلك قوله - تعالى -: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١]، حيث إن إعمار الأرض لا يكون بغير تفكير وتدبر وبحث لتكون هذه الأرض على النحو الذي يليق بتكريم الله - تعالى - للإنسان، وعلى الوجه الذي يمكنه من عبادة الله وحده وفق ما شرع، وأن يفهماها أن المسلم الذي يمتنع عن هذا التفكير وهو قادر عليه آثم، عصي الله - سبحانه - فيما أوجب عليه من إعمار الأرض، وأنه لو فقه المسلمون اليوم هذا المطلب لما سبقهم أحد من الناس إلى كشف أو اختراع كما كانوا كذلك يوم كانوا على هذا الفقه للدين، فخلّفوا للإنسانية في مجال العلم والكشف

والاختراع ما استطاع الغرب أن يقيم على أسسه نهضته العلمية ثم زاد عليها^(١). ومن الأمثال والشواهد التي يمكن أن يضربها الوالدان للفتاة، والتي تؤكد أن الإسلام يحترم العقل ويقدره ولا يحجر عليه، أنه قد بلغ من احترامه للعقل، وتشجيعه على التفكير، أن جعل دخول الإنسان في الإسلام - وإقناعه به، وبعقيدته، وعباداته - يجب أن يتم من خلال النظر، والفكر، والتأمل، كما أن أهم قضايا العقيدة الإسلامية وهي توحيد الله - سبحانه - أقامها الإسلام على أساس من الاقتناع، والحوار العقلي، واستخدام الأدلة والبراهين، وذلك كقوله - تعالى -: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [يس: ٨١]، وكقوله - عز من قائل -: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١]، وغير ذلك من الآيات القرآنية الكثيرة التي توجه العقل إلى أن يناقش، ويحاور، ويستدل حتى في قضية التوحيد، ليكون إيمان الإنسان عن اقتناع، وبعد جدل فكري يستهدف إيضاح الحق، والوصول إليه.

وكذلك من الأمثلة أن الله - تبارك وتعالى - جعل كل نبي من أنبيائه يجادل عن الحق الذي جاء به، ويقدم عليه الأدلة والبراهين، ويطلب من يدعوهم بأن يُعْمِلُوا عقولهم للاهتمام إلى الحق، أو تقديم الأدلة والبراهين التي لديهم^(٢)، حتى إن قوم نوح عليه السلام - على سبيل المثال - لما ضاقوا بما يقدمه لهم نبيهم من أدلة، وبراهين، وجدل عقلي، قالوا له - كما يحكي القرآن -: ﴿يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا﴾ [هود: ٣٢].

(١) تربية الناشئ المسلم، علي عبد الحليم محمود، ص: ٢٦٧ - ٢٦٩.

(٢) المرجع السابق، ص: ٢٦٩، ٢٧٠.

سابعاً: تدريب طاقة الفتاة العقلية على طريقة الاستدلال المثمر، والتعرف على الحقيقة؛

فالفتاة في هذه المرحلة تنمو قدرتها على الفهم واستنتاج العلاقات، وتنمو مع ذلك قدرتها على الاستدعاء، والتعرف، والتفكير المجرد، والاستدلال، والاستنتاج، والحكم على الأشياء، وحل المشكلات، والقدرة على التحليل، والتعميم، والتجريد، والابتكار، والإبداع، والجدّة، والتنوع^(١)، ويساعد الوالدن على هذا التدريب اتخاذ وسيلتين:

١- وضع المنهج الصحيح لنظر الفتاة العقلي، ويصل إليه الوالدان بطائفة من التوجيهات والتدريبات للطاقة العقلية على طريقة العمل الصحيحة، ومنهج التفكير السليم، ومنها:

أ- تحذير الفتاة، وتحرير عقلها من مجرد التقليد، أو التبعية، أو الظن عموماً، وخاصة في أمور العقيدة والإيمان، وذلك بدم المقلدين - على مسمعها - الذين ذمهم الله - تعالى - بقوله: ﴿قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠]، وذم الذين يتبعون الظن، والذين ذمهم الله - تعالى - في قوله: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ الظَّنُّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾.

[النجم: ٢٨].

وعليهما أن يأمرها بالتثبت من كل أمر قبل الاعتقاد به واقتفائه^(٢)، لقوله - تعالى -: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ

(١) علم نفس النمو، حامد عبد السلام زهران، ص: ٣١٣-٣١٥؛ والمراهقون، عبد العزيز محمد النغمشي، ص: ١٨.

(٢) منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، ١/ ٧٧، ٧٨.

مَسْئُولًا ﴿ [الإسراء: ٣٦] ^(١)، وذلك لأن التقليد إبطال للعقل، وغير موصل للعلم، في حين أن الإنسان مسؤول أمام الله - سبحانه - عن كل ما عرفه واقتنع به، فالتماس الدليل والبرهان في الإسلام مطلب عام في كل الأمور العقدية، والعبادية، والأخلاقية، وبذلك يلزمه إن لم يجد الدليل النقلي أن يتجه إلى الدليل العقلي؛ فإن قام على الأمر دليلان من العقل والنقل فلن يتعارضاً أبداً ^(٢).

وكذلك يوضح الوالدان للفتاة بأن المعرفة إذا كانت من حيث أهدافها ذات هدفين كبيرين هما: الإيمان والعمل؛ فإن كلا الهدفين بحاجة إلى العقل والعلم ليكون لهما الأثر الطيب في حياة الناس، وأن الإيمان عن طريق العلم هو أعلى مستويات الإيمان، وأقواها، وأكثرها ثباتاً واستقراراً، كما يوعيانها بأن الإسلام ينظر إلى العلم - وهو عمل عقلي - على أنه يؤدي إلى الإيمان، وأن العلم وحده لا يغني عن الإيمان، كما أن الإيمان بغير علم - أي بالتقليد - لا يصلح في الغالب، وإذا صلح - في النادر - فإنه يكون من أضعف الإيمان ^(٣).

ب - ومنها أن يوضحا للفتاة صور التفكير العلمي للوصول إلى الحقائق، وأن يبعدها عن التفكير الخرافي، بتنبيهها إلى وجود صورتين للتفكير العلمي، الأولى: التفكير الاستقرائي، وهو: استخلاص حكم كلي من الجزئيات، أي انتقال من الجزء إلى الكل. والثانية: التفكير الاستنباطي، وهو: استخلاص الجزئيات من الكليات، أي الانتقال من حكم كلي إلى حكم جزئي. ويوضحا لها بأن هذا الاختصاص لا يعني عدم التعاون بين التفكيرين في بعض الأحيان، وأما التفكير الخرافي، وهو: الذي لا يوجد له سند من العقل، أو الدين، أو التجربة العلمية المحسوسة، مثل فكرة البخت، والتنجيم، والغول، فلا الدين

(١) ﴿وَلَا تَقْفُ﴾ : لا تتبع، انظر: كلمات القرآن، حسنين مخلوف، ص: ١٩٦.

(٢) تربية الناشئ المسلم، علي عبد الحليم محمود، ص: ٢٦٥، ٢٦٦.

(٣) المرجع السابق، ص: ٢٧٢.

يؤيده، ولا العقل، ولا العلم التجريبي^(١)، ويؤكد ذلك قوله ﷺ: «لا عدوى، ولا هامة، ولا نوء، ولا صفر»^(٢)(*) .

لذا يلزم الوالدين أن يوضحا للفتاة بأن الإسلام الذي احترم عقل الإنسان، واعتبره أكبر تكريم له، طالبه بأن يحرره من الدجل، والخرافة، ودعوى علم الغيب، كما يبينان لها أن من صدق شيئاً من دجل الدجالين، أو خرافات الضالين فكأنما فقد عقله، وكذلك شأن من صدق أحداً يدعي علم الغيب، أو معرفة ما في المستقبل، فضلاً عما في ذلك من ضعف الإيمان، وتكذيب الشرع، والكفر بما أنزل على محمد ﷺ، ويعرفانها بأن الإسلام وهو يربي العقل حرماً على الناس أن يأتوا الكهان، والعرافين، والزاعمين بأنهم يعلمون ما تضره الأيام^(٣)، فعن عائشة- رضي الله عنها- قالت: سأل أناس رسول الله ﷺ عن الكهان، فقال لهم رسول الله ﷺ: «ليسوا بشيء»، قالوا: يا رسول الله، فإنهم يحدثون أحياناً الشيء يكون حقاً، قال رسول الله ﷺ: «تلك الكلمة من الحق يخطفها الجنى فيقرها في أذن وليه قر الدجاجة، فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة»^(٤)، ولذلك كان لا بد أن يبذل الوالدان جهدهما لتربية الفتاة تربية علمية قائمة على الملاحظة، والمناقشة، والاستنتاج، والتفكير لكي تجمع أكبر قسط من المعرفة^(٥).

(١) بناء البيت السعيد في ضوء الإسلام، مقداد يالجن، ص: ١٧١، ١٧٢ .

(٢) أخرجه البخاري، ك/ الطب، ب/ لا هامة، رقم ٥٧٥٧، ومسلم، ك/ السلام، ب/ لا عدوى ولا طيرة...، رقم ٢٢٢٠، واللفظ له.

(*) (الهامة): الاعتقاد بأن روح الميت تتحول إلى الطير؛ (النوء): الاعتقاد بأن لكل إنسان نجماً في السماء إذا سقط مات؛ (الصفر): الاعتقاد بأن في بطن الإنسان دابة تهيج عند الجوع، انظر: بناء البيت السعيد في ضوء الإسلام، مقداد يالجن، ص: ١٧٢ .

(٣) تربية الناشئ المسلم، علي عبد الحليم محمود، ص: ٢٦٤ .

(٤) أخرجه البخاري، ك/ الطب، ب/ الكهانة، رقم ٥٧٦٢؛ ومسلم، ك/ السلام، ب/ تحريم الكهانة وإتيان الكهان، رقم ٢٢٢٨، واللفظ له؛ و(يقرها قر الدجاجة): أي يرددها مثل صوت الدجاجة، انظر: برنامج موسوعة الحديث الشريف .

(٥) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبد الرحمن النحلاوي، ص: ٣٥ .

٢- والوسيلة الثانية التي تساعد الوالدين على تدريب عقل الفتاة على طريقة الاستدلال المثمر، والتعرف على الحقيقة، هي دعوتها إلى تدبر نواميس الكون، لما في هذا التدبر من طبع للعقل بطابع من الدقة والتنظيم - وقد سبق أن تحدثت عن هذه الوسيلة في بداية هذا المبحث - فنواميس الكون تجري في دقة عجيبة، ونظام لا يختل.

ودعوة الفتاة إلى تدبر هذه النواميس فوق ما يوحيه ذلك لقلبها من تقوى الله الخالق المدبر، والتوجه إليه في كل أمر، فإنه يعود عقلها على دقة النظر، وانضباط الأحكام؛ فالعقل حين يرى تلك الدقة والترابط حري به أن يحاول ضبط أفكاره وربطها، والوصول إلى الكليات التي تربط الجزئيات وتحكمها كما يرى في نظام الكون الكبير^(١).

ومما يحسن في فترة المراهقة - فترة الحماس الديني - أن تصطحب الأم ابنتها معها إلى حلقات العلم، ولا بأس أن تسألها بعد انتهاء الدرس عن رأيها فيه، وملاحظاتها عنه، وأن تناقشها لتنمي ملكاتها العقلية، ومواهبها الفكرية.

وقد يرى في هذه الفترة من بعض الفتيات تفتحاً فكرياً كبيراً، يعطي ثمرات جيدة فيما لو لوحظ بالرعاية، وفي مثل هذه الحال يجدر بالوالدين أن يطلبوا من البنت أن تكتب في بعض الموضوعات التي ناقشها فيها، وتقرأ لهما ما كتبه، ويبيدا رأيهما فيه، ويصححاه منه ما لا يصح؛ فهذا الموقف إلى جانب تنميته للقدرات الفكرية والعقلية للبنت فإنه ينمي العلاقات الاجتماعية بين الوالدين والفتاة، ويزيد من اقتراب بعضهم من بعض، ويجعل الفتاة تحس بشخصيتها من جهة، ويقوى الرباط بينها وبين والديها من جهة أخرى، ويدفعها إلى الالتجاء

(١) منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، ١/ ٧٨، ٧٩.

لهما إذا استعصى عليها شيء، فيكون ذلك أوكد لتوجيه الوالدين لابتئهما توجيهاً سليماً.

ولا يقتصر الأمر على مجالس العلم، بل يستحسن أن يرسل الوالدان الفتاة إلى مجالس الذكر القائمة على التفكير بحكمة الله في خلقه، وقدرته في صنعه، وإدراك عظمة هذا الخالق، وزيادة الصلة به، وإشغال الفكر واللسان بذلك^(١).

ثامناً: توسيع قاعدة فكر المراهقة، وتفسير الحقائق لها، وتزويدها بأفكار أساسية وكلية عن الحياة، والإجابة عن تساؤلاتها:

بما أن المراهقة تميل في هذه السن إلى النظر العقلي في الكائنات والظواهر الاجتماعية في بيئتها، نظراً لرغبتها في دعم معلوماتها السابقة عن البيئة وتوكيدها، أو نقضها إذا لم تجد سبيلاً إلى فهمها وتقبلها؛ لذلك تكثر تساؤلاتها عن بعض القضايا التي تستعصي على عقلها؛ نظراً لذلك يجب على الوالدين التزام الصدق في الإجابة، والتفسير لتساؤلاتها، ويوضحا لها بأن القرآن الكريم يلبي لها هذه الحاجة العقلية الفطرية، حيث يعرض صفحة الوجود كله أمام نظرها، وعقلها، وفؤادها، وسائر حواسها المساعدة لها على التبصر والإدراك، ومن ذلك قوله - تعالى -: ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ [١٠]. هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين ﴿ [لقمان: ١٠، ١١]. فالآيتان مشتملتان على موضوعين أساسيين للتفكير، هما السماوات والأرض، ومن ذلك أيضاً، قوله - تعالى -: ﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ

(١) كيف يربي المسلم ولده، محمد سعيد مولوي، ص: ١٨٠-١٨٢، (بتصرف).

طَبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴿٢١﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٢٣﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٢٤﴾ [المالك: ٣-٦]، فهذا درس آخر، يشتمل على موضوعات للتفكير والإدراك، تُعرض ضمن الموضوع الكلي وهو السماوات السبع الطباق؛ فتزداد حصيلة المراهقة، ومدرقاتها من العلوم والمعارف ذات الصلة بالسماوات، ومن ذلك أيضاً، قوله - تعالى -: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٢٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢٦﴾﴾.

[لقمان: ٢٠، ٢١].

فمن المهم أن يوجه الوالدان الفتاة إلى تدبر آيات القرآن الكريم؛ حيث إنه يكرر حديثه عن القضايا الكبرى بأساليب متنوعة، تخاطب العقل والوجدان، وهو في كل مرة يضيف خاصية جديدة، أو يشرح، أو يفصل خاصية سبق ذكرها مجملة، وهو في كل ذلك يحقق للعقل حاجاته ويراعي قدراته؛ إذ لو واجه العقل بالحقيقة كاملة بكل خصائصها، وظواهرها البادية والمستكنة لصعب على العقل إدراكها وتعقلها^(١).

وبما أن الفتاة في هذه المرحلة تقف من الحقائق الكبرى في الوجود موقف الراغب في الحصول على تفسيرات مفصلة يتقبلها عقلها، فهي لهذا تميل إلى القراءة في المؤلفات التي تظن أنها تحقق مطلبها، وتساعد في الوصول إلى

(١) تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس، محمد السيد الزعبلوي، ص: ٤٦٥ - ٤٦٨.

غايتهما، كالمؤلفات التي تتحدث عن الوجود ونشأته، والإنسان ومصيره، والخالق تعالى، والجنة، والنار... إلخ؛ لذلك كان على الوالدين مسؤولية توجيه المراهقة إلى تدبر آيات القرآن الكريم التي تقدم لها تفسيرات مناسبة لجميع حقائق الوجود، ولكل ما يشغل بالها من عالم الغيب، أو عالم الشهادة^(١)، ومن هذه الآيات على سبيل المثال، قوله - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ۖ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ۖ ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ۝١٤ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمِيتُونَ ۝١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿[المؤمنون: ١٢ - ١٦]، حيث تقدم الآيات السابقة تفسيراً للخلق، ونشأته، ونهايته، ومصيره.

ونظراً للخوف الذي يدور حول الأهداف الكلية للحياة، ويتتاب الفتاة في هذه السن أحياناً، لما تتمتع به من قدرة عقلية على إدراك الكليات والمجردات، والخروج من أسر التفكير المادي المحدود الذي كانت عليه في المرحلة السابقة إلى التفكير المنطقي الفسيح، نظراً لذلك فإنه ينبغي أن يدرك الوالدان أولاً أن تساؤلات المراهقة حول الكون، والحياة، والإنسان، وتفكيرها في ذلك يعدُّ أمراً طبيعياً في هذه المرحلة الانتقالية، ثم عليهما بعد ذلك أن يطمئناها، وأن يستثمرا تلك الاستعدادات النفسية، والعقلية، لتزويدها بالقضايا الكلية، والأهداف البعيدة للكون والحياة والإنسان، وألا يدعاها نهب الأفكار المستوردة التي تتلقاها من أي جهة أو مصدر، كذلك لا يدعاها تستقي الإجابة من صديقاتها لأنهن يعشن الغربة نفسها وفاقد الشيء لا يعطيه، ما لم تكن رفقة صالحة قد اكتسبت الإجابة من قبل، بل عليهما أن يتعاملا مع هذه القضية الحرجة والخطرة في حياة الفتاة كما تعامل معها النموذج الإسلامي، ويشيعا الطمأنينة في جنباتها، ويزيلا الغامض، ويكشفوا المخاوف بإحالة المراهقة إلى إجابات محددة وواضحة،

(١) المرجع السابق، ص: ٤٦٨.

ويزوداها بأفكار أساسية وكلية عن الحياة من حيث فلسفتها، ووظائفها، وغاياتها^(١).

تاسعاً: تحويل ما لدى الفتاة من مثل عليا إلى حقيقة واقعية، والحيلولة بينها وبين أن تصبح أحلام يقظة؛

فالشحنة الروحية التي تتفجر في مرحلة البلوغ قد تأخذ صورة مثل عليا شاملة، وأحلام بعالم المثل، تنجح ببعض المراهقات أحياناً إلى أحلام يقظة، ما لم يتداركها الوالدان بالتوجيه الصحيح.

وأحلام اليقظة لا تعدو أن تكون مظهراً لنشاط عقلي، ذي صبغة نفسية واجتماعية، وهذا النشاط ليس مقصوراً على مرحلة المراهقة دون غيرها من مراحل العمر المختلفة، بل هو وسيلة سلبية قد يلجأ إليها الأفراد للهروب من الواقع الذي يعيشونه، وقد تجلب هذه الأحلام نوعاً من السرور، والراحة النفسية للمراهق، ولكنه إذا ما عاد إلى انتباهه، وعاش واقعه، غادرت هذه الأحلام تاركة له الشعور بالحسرة على واقعه الذي لم يتغير، فأحلام اليقظة ظاهرة عقلية توجد في جميع الأفراد، إلا أنها تكون واضحة في مرحلة المراهقة، كما أن الموضوعات التي تدور عليها هذه الأحلام تختلف عنها في المراحل السابقة واللاحقة لها، وهي في دور المراهقة لا تُعتبر ظاهرة مَرَضِيَّة، وإنما ينظر إليها على كونها ظاهرة طبيعية، أو خاصة من خصائص النمو العقلي في هذا الدور، وهي سلاح ذو حدين، فكما أنها تثير همة المراهق، وتدفعه إلى العمل لتحقيق ما يفكر فيه في عالم الخيال، وتكون وسيلة لتوجيه الناحية الابتكارية وتنميتها، إلا أنها في الوقت نفسه تعتبر مضيعة لوقت المراهق على حساب إهماله لنواحي كثيرة من

(١) المراهقون، عبد العزيز محمد النعيمشي، ص: ٤٩، ٥٠.

النشاط الذي يستطيع أن يقوم به لتنمية ميوله المتعددة .

ومنهج التربية الإسلامية يرفض هذا النوع من التفكير السلبي ، ويحث على التفكير الواعي الذي يساعد على تحسين ظروف الحياة ، ومنهجه في كل ذلك الاعتدال الذي لا إفراط فيه ولا تفريط . والتخلص من أحلام اليقظة أمر عسير إن لم يكن غير ممكن ، وذلك بسبب الكثرة غير المحدودة من الرغبات التي تتميز بها مرحلة المراهقة ، وقد تعجز الأسرة عن إشباع جميع رغبات المراهق وميوله - نفسية وعقلية واجتماعية - نظراً لضيق إمكانياتها المادية ، ولغلو المراهق في ميوله ورغباته^(١) . والذي يمكن تحقيقه هو التخفيف والحد من أحلام اليقظة باتباع الوالدين للآتي :

— استغلال النزعة المتسامية إلى المثل العليا لدى المراهقة ، وذلك بتشجيع هذه المثل ، وتحويلها إلى حقيقة واقعة ، والحيلولة بينها وبين أن تصبح أحلام يقظة تستهلك الطاقة النفسية المخصصة لها بغير أن تثمر ، فتكون قوة معطلة بدلاً من أن تصبح قوة دافعة ، حيث إنه إذا تعودت الفتاة على أحلام اليقظة ؛ فإنها سوف تستسهل حل أزماتها ومشكلاتها عن هذا الطريق ، ولا تتحرك لحلها حلاً واقعياً على الطبيعة ، كما أنه ليس من المصلحة إطفاء شعلة الخيال ، وكفها عن العمل ، حيث إن جزءاً من هذه الأحلام مفيد ؛ لأنه إذا لم تتخيل المراهقة صورة مثالية للحياة البشرية فلن تسعى إلى تحقيقها في ذات نفسها ولا في غيرها .

والوالدان المسلمان يملكان فرصة لا يملكها غيرهما ، وهي أن يشبعا هذه الأحلام بمثل واقعية من سير الجماعة المسلمة الأولى التي يلتقي فيها الواقع بالمثل ، فتستوعب نزعة الأحلام في نفسها ، وفي نفس الوقت تضع أمامها قدوة

(١) تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس ، محمد السيد الزعبلوي ، ص : ٤٦٩ - ٤٧٢ .

واقعية تحاول محاكاتها^(١).

- إحياء روح الإيمان بالقضاء والقدر في نفس المراهقة^(*).

- إحياء روح الإيمان بأن الله - تعالى - هو الذي قد قسم الأرزاق على عباده .

- العمل على تحريك الشعور بالقناعة والرضا في نفس المراهقة .

- توجيه المراهقة ، وحثها على ضرورة هجر التفكير السلبي الذي يعوق ، أو يؤخر إشباعها لميولها ورغباتها الطبيعية .

- حث المراهقة على مغالبة أحلام اليقظة ، حيث يوضحا لها بأنها ما هي إلا إشباع خيالي مؤقت لا يلبث أن يزول بمجرد انتباهها إلى عالم الواقع والحياة الحاضرة .

- توجيهها إلى قوله - عليه الصلاة والسلام - : « أيها الناس ، اتقوا الله وأجملوا في الطلب ؛ فإن نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها وإن أبطأ عنها ، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب خذوا ما حل ودعوا ما حرم »^(٢) . فهذا الحديث الشريف يعالج اتجاهها نفسياً هاماً في شخصية المراهق بصفة خاصة ، والمسلمين بصفة عامة ، فهو دعوة صريحة إلى ترك التمني ، وهجر حياة الترف العقلي (أحلام اليقظة) التي لا تنفع في واقع الحياة ، ولا تكتفي بما في ذات اليد ، كما أنه دعوة إلى إحسان العمل ، وبعثاً لشعور الاطمئنان باستيفاء كل نفس لرزقها الذي قسمه الله - تعالى - لها ، وألا تتعجله وإن أبطأ عنها ؛ فإن أحلامها وتمنيها لن يُعجّل ولن يزيد ما قسم الله لها ، ولا عليها إلا أن تأخذ بالأسباب التي أودعها

(١) منهج التربية الإسلامية ، محمد قطب ، ٢ / ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

(*) راجع مبحث التنشئة الروحية في الفصل الأول من هذا الكتاب .

(٢) أخرجه ابن ماجه ، ك / التجارات ، ب / الاقتصاد في طلب المعيشة ، رقم ٢١٤٤ .

الله كيانه، وبثها في كونه، وأن تلتزم في سعيها ما أحله الله، وأن تنفر وتبتعد عما حرم. والمراقة التي تلزم هذا الهدي النبوي الشريف تريح نفسها، وتجنبها وعثاء الأحلام عند الإفاقة، وخاصة إذا أعلمها الوالدان أن الله - تعالى - قد نهى في محكم التنزيل عن التمني والتطلع إلى النعم التي قسمها لبعض عباده دون بعض لحكمة يعلمها - سبحانه - ^(١) وذلك في قوله - تعالى - : ﴿وَلَا تَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٣٢].

عاشراً: العناية بصحة عقل المراهقة:

فمن المسؤوليات التي جعلها الله - تعالى - أمانة في عنق الوالدين الاعتناء بصحة عقل الفتاة، فما عليهما إلا أن يقدرها حق قدرها، ويرعاها حق رعايتها، حتى يبقى تفكيرها سليماً، وذاكرتها قوية، وذهنها صافياً، وعقلها ناضجاً، وذلك بتجنيبها المفاصد المنتشرة في المجتمع، لما لها من تأثير على العقل، والذاكرة، والجسم الإنساني بشكل عام، ومن هذه المفاصد التي تؤثر على العقل، والذاكرة، وتخمل الذهن، وتشل عملية التفكير في الإنسان، وتحدث أضراراً بالغة في الجسم ما يلي:

- تناول الخمر والمخدرات بشتى أنواعها؛ فإنها تقتل الصحة، وتورث الجنون.

- العادة السرية؛ فإن الإدمان عليها يورث السل، ويضعف الذاكرة، ويسبب الخمول الذهني، والشروء العقلي.

- التدخين؛ فإن من تأثيره على العقل أنه يهيج الأعصاب، ويؤثر على

(١) تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس، ص: ٤٧٣، ٤٧٤.

الذاكرة، ويضعف ملكة إحصار الذهن والتفكير.

- الإثارات الجنسية، كمشاهدة الأفلام الخليعة، والتمثيلات الماجنة، والصور الفاضحة؛ فإنها تعطل وظيفة العقل، وتسبب الشرود، وتقضي على ملكة الاستذكار والتركيز الذهني، فضلاً عن الإلهاء، وإضاعة الوقت^(١)(*) .

ومما يساعد على نمو عقل الفتاة: التغذية السليمة؛ حيث إن نقص الغذاء اللازم يؤدي إلى نقص النمو العقلي، في حين أن توافره يساعد على مقاومة الكلل الذهني، ويساعد على عمل العقل بصورة فعّالة، ولمدة أطول، كذلك مما يساعد على نمو عقل الفتاة نمواً سليماً تخلصها من القلق، والصراع النفسي، والتشتت الذهني، والمشكلات العائلية والنفسية الأخرى؛ حيث إن هذه الأمور من العوائق الشديدة أمام فاعلية الذكاء، ونشاطه، وتركيزه، كما أنها من الأسباب التي تعوق نمو عقل الفتاة نمواً سليماً، بالإضافة إلى هذا فإنها ترهق العقل، وتبدد حيويته ونشاطه^(٢).

حادي عشر: إتاحة الفرصة للفتاة للأخذ بأسباب العلم:

يجهل بعض الناس مكانة المرأة في بناء المجتمع وصلاحه، فيعزلونها عن المعرفة ويصدونها عن أبوابها، مما يحدث ارتباكاً في بناء المجتمع السليم^(٣)؛ حيث يرى بعض الآباء أنه ليس للفتاة أن تتعلم بعد المرحلة الابتدائية، وحجة هؤلاء أن التعليم مضر للفتاة، يفتح عيونها على أمور قد تكون مبكرة، وقد يجرها إلى الفساد، وقد يبالغ بعضهم في انعدام الثقة بالفتاة إذا تعلّمت^(١).

(١) تربية الأولاد في الإسلام، عبد الله ناصح علوان، ١ / ٢٩٦، ٢٩٧.

(*) راجع عنصر حماية المراهقة من أسباب المرض في مبحث التنشئة الجسمية.

(٢) بناء البيت السعيد في ضوء الإسلام، مقداد يالجن، ص: ١٧٨-١٧٩.

(٣) البنات في الإسلام رعاية ومسؤولية، كامل موسى، ص: ٧٤.

والواقع أنه كما لا يقوم بيت دون امرأة، كذلك لا يقوم مجتمع دون نساء، لأنهن يقمن بحاجات تكون المرأة أصلح لها من الرجل كتربية الأطفال وتنشئتهم، والحلول مقام الرجال عند غيابهم كاشتغالهم بالجهاد - مثلاً - كما أنهن يقمن بدور الإعداد، والتجهيز، والتطبيب، والتمريض، فضلاً عن إعدادهن للنشء على التضحية والفضيلة^(٢).

وكذلك إذا لم يسمح الآباء بتعليم الفتيات؛ فكيف يمكن أن تتعلم البنات إذا لم يكن لهن معلمات، وأمّهات متعلّمات؟! وكيف يمكن أن تتحقق مطالب التربية مع أمّ جاهلة، أو معلمة جاهلة؟! ومن أين يؤتى بالطبيبة - التي تقي النساء من الكشف على الأطباء من الرجال - إن مُنعت الفتاة من التعليم؟! ووو . . . إلى غير ذلك من الأسئلة التي لا جواب لها إلا ضرورة اعتبار البنت إنساناً له مشاعره، وإدراكه، وملكوته العقلية، وإن كان يغلب على المرأة الشعور العاطفي؛ فإنها - وبقليل من التوجيه - قادرة على التحكم بهذا الشعور، وإن من الخطأ إعطاء الثقة للذكر ومنعها عن الأنثى، بل إن كثيراً من النتائج الطيبة تجنى من إعطاء الفتاة الثقة بخُلُقها، وسلوكها، وحسن تصرفها، والتزامها بدينها؛ مع ملاحظة أن الرجال لا يستطيعون دائماً أن يكونوا موجهين للإناث ولو كن بناتهم؛ لأن هناك أموراً في الحياة تقف حائلاً بين الرجل والمرأة، فيكون عاجزاً عن معالجة بعض القضايا أو الأمور، بينما تتولى المرأة هذه المعالجة بكل يسر.

وبمعنى آخر: إن هنالك أموراً تتعلق بحياة المرأة لا يمكن للرجل أن يتحدث فيها صراحة مع بناته، ولكن أمّهن تكون قادرة على ذلك^(٣)، فلا بد أن يعي الوالدان ذلك، ويعلمان أن الفتاة مطالبة بتحصيل العلم، نظراً لما للعلم

(١) كيف يربي المسلم ولده، محمد سعيد مولوي، ص: ١٧٣.

(٢) البنت في الإسلام رعاية ومسؤولية، كامل موسى، ص: ٧٤.

(٣) كيف يربي المسلم ولده، محمد سعيد مولوي، ص: ١٧٤ - ١٧٦.

وللمعرفة من تأثير وفعالية في ميدان التكليف الذي تسأل عنه، وأن الله - سبحانه وتعالى - أنزل شريعته، وبلغها رسوله ﷺ، وهذه الشريعة متضمنة اقتضاء الالتزام بأشياء، واقتضاء الاجتناب لأخرى، ولا تقيم الفتاة المكلفة ما أمرت به إلا إذا عرفت ماهيته، وكيفية أدائه، كما لا تضمن السلامة من المنكر إلا إذا عرفت حقيقته، ومعالم عيوبه وكيفية اجتنابها^(١).

كما لا بد أن يعي الوالدان أن فهم الشريعة الإسلامية يحتاج إلى تعلّم القراءة والكتابة، ويحتاج إلى تلاوة القرآن، وتدبر أحكامه ومعانيه، ويحتاج إلى تعلّم الحساب لعلم الفرائض، وإلى تعلّم التاريخ لفهم السيرة، وإلى التعرف على جغرافية الجزيرة العربية وغيرها لمعرفة مواطن الأقسام البائدة الذين عذبهم الله تعالى؛ ولذلك كان عليهم حض الفتاة على ما حضها عليه القرآن الكريم من التفقه في الدين، وتعلّم الشريعة، ومن ثم تعليمها غيرها من الناس، مصداقاً لقوله - تعالى -: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٢].

كما عليهما أن يعيا بأن من خصائص الشريعة الإسلامية توسيع الآفاق الفكرية، وثقيف العقل البشري، والحض على طلب العلم بحيث جعلته فريضة، وبذلك بلغت الأمة الإسلامية درجة من الحضارة العلمية لم تبلغها آنذاك أمة غيرها، وكانت أستاذ الغرب في اكتشاف وحدة قوانين الكون، وأهمية التجريب للتأكد من صحة الحقائق العلمية، وفي إيجاد علم التاريخ وضوابطه وأسانيده، وعلوم اللغة، وأوزان الشعر، وفي الطب، والفلك، والجبر، وعلم الضوء^(١) . . . إلى غير ذلك من العلوم؛ فالعلم فريضة مطلوبة على كل من

(١) البنت في الإسلام رعاية ومسؤولية، كامل موسى، ص: ٦٤.

المسلم والمسلمة؛ حيث قال ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»^(٢)، والخطاب في هذا الحديث عام لكل من الذكر والأنثى وإن ذكر بصيغة الذكور، وهذا شأن كافة الخطابات التكليفية على وجه التغليب^(٣).

ومن ثم فليس هناك مانع شرعي من إطلاق يد الفتاة في التعلم، ولكن ليس هنا ما يمنع من الاختيار لها ما هو أصح لها، ففي الحياة كلها فاضل ومفضل^(٤).

وبناء على هذا فمما ينبغي أن تتعلمه الفتاة تلاوة القرآن الكريم، وأحكام العبادات، ومبادئ الأخلاق الأساسية، ومسائل الحلال والحرام، على اعتبار أن كل ما تحتاجه في أمر دينها ودنياها يعتبر تعلمه عليها فرض عين^(٥)، مع العلم أن العلوم الدينية ليست هي المطلوبة منها فقط، ولكن الدين يعتبر هو المقصد الأول، لأنه طريق لهدايتها في الحياة الدنيا، ولأنه خير موجه، وخير مرشد لتوجيهها الوجهة السليمة في الحياة، ولأنه يخلق في نفسها طاقة تجعلها تقوم بأعمال تتطلب تحمل الصعاب، وتجعلها أيضاً مخلصاً في كل أعمالها وتصرفاتها؛ ولهذا فإن معرفة الإسلام هو الواجب الأول على كل مسلم ومسلمة^(٦).

ومما ينبغي أن تتعلمه الفتاة -بالإضافة- إلى تعلم العلوم الدينية، وباعتبارها أمّ الغد، والقائمة بوظيفة التربية بجانب الأب -أن تتعلم شؤون التمريض،

(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبد الرحمن النحلاوي، ص: ٥٩.

(٢) رواه البيهقي والطبراني والخطيب وابن عدي بطرق لا تخلو من ضعف، وصححه السيوطي في الجامع الصغير، برقم ٥٢٦٤، والألباني في صحيح الجامع، برقم ٣٩١٣.

(٣) البنت في الإسلام رعاية ومسؤولية، كامل موسى، ص: ٧٥.

(٤) كيف يربي المسلم ولده، محمد سعيد مولوي، ص: ١٧٦.

(٥) تربية الأولاد في الإسلام، عبد الله ناصح علوان، ١/ ٢٦٣.

(٦) بناء البيت السعيد في ضوء الإسلام، مقداد يالجن، ص: ١٨٣.

ومبادئ الصحة العامة، فإن لم يكن المجتمع محتاجاً إليها في دور الصحة ومستشفياتها؛ فإن أسرتها دائماً بحاجة إلى هذه الصنعة، كما أنها تؤدي إلى التوفير المالي لزوجها وأسرتهـا ـ فيما بعد ـ فضلاً عن العناية الصحية التي توفرها لهم ليلاً ونهاراً.

وبالإضافة إلى أهمية إتقان الفتاة لما سبق، كذلك ينبغي لها أن تتعلم شؤون الطبخ، والغسل، وتنظيف البيت وترتيبه، والحيافة والتفصيل ـ مع الانتباه إلى ضرورة زرع فكرة هامة في نفسها، وهي: عدم السير وراء ما يسمى ببذع الأزياء (الموضة)^(١).

كما ينبغي لها أن تتعلم كيفية إصلاح أثاث المنزل، نظراً لمتطلبات البيت ـ الذي ينتظرها مستقبلاً ـ، كما يحسن أن تتعلم شؤون الاقتصاد؛ لأنها سوف تكون أمينة على تكييف الحاجات المادية في بيتها، ومما أود الإشارة إليه هنا أنه يحسن بالوالدين لفت انتباه المراهقة عندما يصطحبونها أو يصطحبها أحدهما لشراء شيء من أمور المنزل أو ما تحتاجه إلى الحسن والجيد، والردىء والسيئ حتى تزداد خبرتها لأنها مؤهلة في المستقبل أن تكون أمّاً مطالبة بتأمين حاجات أولادها^(٢). وأما ما تبقى من حاجات المجتمع ومتطلباته بصورة عامة؛ فلا مانع بأن يفتح الوالدان أبواب المعرفة في ذلك أمامها، وخاصة فيما لا يعتمد على الإجهاد البدني، وفيما لا يتضاد والرحمة الزائدة في نفسها؛ فليس من المتوافق مع بنيتها بدياً أن تدرّب في مصانع الحديد والفولاذ وشتى الصناعات التي تحتاج إلى قوة العضلات، كما أنه ليس من المتوافق مع بنية الرحمة والشفقة في نفسها العمل في قضاء الجنايات والحدود كالقتل، والقطع، والجلد، فكل ما لم يكن

(١) كيف يربي المسلم ولده، محمد سعيد مولوي، ص: ١٩٠.

(٢) المرجع السابق، ص: ٢١٠، ٢١١.

متوافقاً مع بنيتها البدنية والنفسية ينبغي للوالدين أن يحفظاها عنه^(١).

ولكن واقع الحال يشير إلى أن الفتاة اليوم تتعلم كثيراً من العلوم التي لا تتلاءم مع قدراتها، واستعداداتها، ولا تتصل بحياتها الخاصة، ووظيفتها الأساسية - الزوجية والأمومة - وفي نفس الوقت تُترك جاهلة بالعلوم المتصلة بهاتين الوظيفتين الأساسيتين اتصالاً مباشراً، والمتلازمة مع قدراتها، واستعداداتها، وميولها، وبهذه الطريقة في تعليم الفتاة لا يستفاد منها كمرأة، كما لا يستفاد منها كرجل، وما ذلك إلا بسبب محاولة تعليمها أعمال الرجال^(٢).

يقول محمد قطب: «ومنهج التربية الإسلامية - في المجتمع المسلم الذي يلتزم بشريعة الله وينفذ أوامره - يعدُّ الفتاة المسلمة في مرحلة الشباب الباكر لمهمتها العظيمة المرتقبة، حتى إذا جاءت الخطبة وجاء الزواج كانت مهيأة لدورها التهيئية الملائمة»^(٣).

والتهيئية لا تعني فقط تدريب الفتاة على إجادة الطبخ والتنظيف والترتيب، بل هو إشعار الفتاة بأن البيت هو مسؤوليتها الأساسية، وأن هذا الأمر إن فعلته فإنه دليل الفطرة السوية فيكون ذلك حافزاً لها للقيام بشؤون البيت ورعايته^(٤).

ومن الثابت أن الاختلافات الموجودة بين الرجل والمرأة لا تأتي من الشكل الخاص للأعضاء، بل من تكوين الأنسجة ذاتها، ومن تلقيح الجسم كله بمواد كيماوية محددة يفرزها المبيض، ولقد أدى الجهل بهذه الحقائق الجوهرية بالمدافعين عن الأنوثة - على حسب اعتقادهم بأنهم يدافعون عنها - أدى بهم إلى

(١) البنت في الإسلام رعاية ومسؤولية، كامل موسى، ص: ٧١ - ٧٣.

(٢) بناء البيت السعيد في ضوء الإسلام، مقداد يالجن، ص: ١٧٩، ١٨١.

(٣) منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، ٢ / ٣١١.

(٤) التزام المرأة بالإسلام وآثاره التربوية على عملها، خديجة أبو القاسم حاج حمد، ص: ١٦٧.

الاعتقاد بأنه يجب أن يتلقى الجنسان تعليماً واحداً، وأن يمنحا مسؤوليات واحدة متشابهة، والحقيقة أن المرأة تختلف اختلافاً كبيراً عن الرجل، فكل خلية من خلايا جسمها تحمل طابع جنسها، وفوق ذلك بالنسبة لجهازها العصبي، ومن هنا فلا بد من إعداد المرأة إعداداً يختلف عن إعداد الرجل في المناهج، والثقافة، والأعمال التي تهيأ لها.

وإذا أتقنت الفتاة العلوم التي تهمها في رسالتها بوصفها أنثى، إضافة إلى العلوم الشرعية الواجب عليها تعلمها، وإذا كانت قد أوتيت موهبة، وعقلاً خصباً، وفكراً نيراً، وتعلّمت ما عدا ذلك من العلوم والفنون؛ فالإسلام لا يعترض سبيلها ما دامت لا تتعدى حدود الشرع الحنيف^(١).

ومما يستحب للأُم أن تقدم لابنتها بالقول والفعل خبرات حياتها الطويلة، لتنفعها في حياتها المستقبلية، ومن ذلك تدريبها عن طريق القدوة والتلقين المباشر على كيفية حسن التبعل الذي يعني: حسن سياسة المرأة زوجها، وإصلاح شؤونها، والاهتمام به في البيت حتى تصبح سكيناً له، وذلك بطاعتها له، فتربي فئاتها على تقبل القوامة، وتُعرفها بمفهومها الصحيح في الإسلام، وحدودها، والحكمة منها. وتحذرها من قول من يقول: إن طاعة الرجل فيما يأمر تخلف لا ينسجم وروح العصر ومع ما تطالب به المرأة من الحرية والاستقلال؛ وذلك لأن طاعة المرأة لزوجها في ظل الإسلام ليست طاعة عمياء أو قهرية، بل هي طاعة واعية مستنيرة، لا تتعارض مع استقلالها الديني، ولا حريتها الفكرية، ولا استقلالها الاقتصادي. كما تبشرها بأنها ستجني ثمار هذه الطاعة في حياتها؛ فطاعتها لزوجها تجعلها تحظى بمكانة عالية في نفسه، وتستأثر بعواطفه

(١) المرأة بين الجاهلية والإسلام، محمد حامد الناصر، وخولة درويش، ص: ٢١٦.

واهتماماته، ونيل ما تطلب منه، فيخيم على العلاقة بينهما المودة والمحبة والسعادة والرضى والاحترام، وينشأ الأبناء في ظل هذه الأسرة في راحة وطمأنينة^(١).

وفي نهاية هذا العنصر لا بد من الإشارة إلى أنه قد يعتني الكثير من الآباء بدراسة أبنائهم، ويعينونهم عليها، ويهيئون لهم الوسائل، ويبذلون لهم الأسباب التي تحقق لهم الاستمرار فيها والتفوق، ويقابل هذا الاعتناء والاهتمام بديناه إهمال وغفلة عن دينه، فلا يسأل نفسه هل يؤدي ابنه عباداته وفق ما شرع الله؟ وهل يبذل له هو من الأسباب والوسائل التي تعينه على أدائها؟ وهل يحاسبه على التقصير فيها والإهمال لها كما يفعل عندما يقصر في دراسته؟ وهل يغرس في نفسه المفاهيم الإيمانية منذ صغره كمحبته الله ومحبة رسوله ﷺ؟ وهل يده على وسائل تحقيقها أو الطريق إليها؟ وهل يعمق في ضميره تعظيم حرمة الله، وتعظيم شعائر الله كالصلاة، والزكاة، والصيام، ومعادة الكافرين، وموالاة المسلمين ومحبتهم، ومحبة الخير لهم، وعدم إيذائهم... إلخ؟

ثاني عشر: تنمية ثقافة الفتاة، وتوعيتها فكرياً؛

تعددت وسائل اكتساب العلم والمعرفة، وتنوعت في العصر الحديث، وهذه الوسائل إما أن تكون مقروءة، أو مسموعة، أو مرئية، ومع كثرة هذه الينابيع واختلافها تبقى القراءة هي الركن الأساس نظراً لما تتمتاز به من يسر وسيلتها، والانطلاق في مجالاتها، وألوانها، وميولها، مع عدم التقيد بزمان معين، أو مكان محدد، ولكن مما يؤسف له أن بعض الشباب في العصر الحاضر قد هجروا القراءة المثمرة، ومالوا إلى وسائل الإعلام على تباين أشكالها، ومع وجود بعض

(١) نماذج من التربية القرآنية بالأحداث، حصة حمد محمد اللعبون، رسالة ماجستير، ص: ٢٦٧، ٢٧٣.

البرامج العلمية والثقافية بها إلا أنهم لم ينظروا إلى هذا الجانب، وإنما استهواهم جانبها الترفيهي والترويحي فقط، فبقي الشباب دون ثقافة تبني شخصيتهم، وهناك عدة أسباب أدت إلى عزوف هؤلاء الشباب عن القراءة الهادفة، منها على سبيل المثال:

- ١ - عدم إدراكهم للمغزى والهدف من القراءة، وأنها الوسيلة المثلى لتغذية ميولهم، وتنمية قواهم العقلية، وتلبية حاجاتهم النفسية.
- ٢ - طغيان وسائل الإعلام.
- ٣ - عدم غرس هذه العادة الطيبة في نفوسهم منذ الصغر، حيث تعتبر القراءة عادة إذا مارسوها تأصلت فيهم، ونمت عندهم، وهي مثل كل عادة حميدة ينبغي غرسها من الصغر، ورعايتها من البداية، وموالاتها بالترتيب.
- ٤ - وجود ذلك الكم الهائل من المؤلفات التي غزت المكتبات، وملأت أرففها، وكان غرض بعض أصحابها الكسب المادي، فاختلط الصحيح بالسقيم، وأصبح الشاب يقف محتاراً ماذا يقرأ؟! وماذا يختار؟!.
- ٥ - قد يتعد الشباب عن القراءة نظراً لما يلقاه من عناء ومشقة في قراءة الكتب المدرسية، فإن الارتطام بصعوبة الكتب وعدم فهمها يؤلّد كرهاً للقراءة عند بعضهم.
- ٦ - وقد يكون للرفقة والقرناء دور في ذلك إذا كانوا لا يحبون القراءة ولا يشجعون عليها، ويسخرون من الشخص القارئ.
- ٧ - قلة الحوافز والمكافآت التشجيعية، والمسابقات التي تدور حول قراءة الكتب، وفهمها وتلخيصها^(١).

(١) عزوف الشباب عن القراءة، سلطان السلطان، مجلة الجندي المسلم، العدد ٨٤، ص: ٧٤، ٧٥.

إذا كانت هذه بعض الأسباب التي تقف حائلاً بين الشباب والقراءة، فإن هناك عدداً من الحلول التي قد تكون ناجحة ومساعدة للوالدين في ترسيخ حب القراءة في نفس المراهقة - قد مر بعضها أثناء الحديث عن تشويق الطفلة إلى المطالعة الدائمة(*) - ومن هذه الحلول:

١ - أن يحثها الوالدان على أن تجعل نية القراءة خالصة لله تعالى، وأن تكون هذه النية هي القراءة المفيدة، ونشر دين الله، وأن يذكرها بقوله ﷻ: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى»^(١).

٢ - أن يذكرها بأن تلجأ إلى الله تبارك وتعالى، وتدعوه بقلب خالص أن يوفقها لطلب العلم وحب القراءة، ويؤكد لها بأنه من كان مع الله كان الله معه، وينبهاها للحديث القدسي: «وإن تقرب إليّ بشبر تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إليّ ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة»^(٢).

٣ - أن يعرفها بالقيمة الفعلية للقراءة، وذلك لكي تتبصر وتعرف أصول دينها الحنيف، ولكي ترفع من مستواها الثقافي.

٤ - أن يطالبها بأن تقرأ بعين القلب والفكر لا بالعين فقط؛ وذلك لأن القلب وعاء الحفظ لقوله - تعالى -: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ [الحج: ٤٦]، كما يحثانها على تذوق القراءة، والاستمتاع بها حال التصفح والمطالعة، ويوضحان لها بأن الكتاب صديق لا يملّ، ورفيق يؤنس ويسلي.

(*) راجع مبحث التنشئة الفكرية للفتاة في مرحلة الطفولة في الجزء الأول.

(١) سبق تخريجه، ص: ٢١.

(٢) أخرجه البخاري، ك/ التوحيد، ب/ قول الله - تعالى -: ﴿وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨]، رقم ٧٤٠٥؛ ومسلم، ك/ الذكر والدعاء، ب/ الحث على ذكر الله تعالى، رقم ٢٦٧٥.

٥ - أن يتيح لها فرصة أن تقرأ ما تميل إليه نفسها، فالإسلام يحوي الكثير من العلوم والمعارف، وقد برز فيها - بفضل الله - الكثير من العلماء، فقراءة ما تميل إليه نفسها وتحبه يؤدي بها إلى الإبداع والإقبال على القراءة بشغف.

٦ - أن يعوداها على اختيار الوقت المناسب للقراءة - على حسب ما ذكر في مبحث التنشئة الفكرية في مرحلة الطفولة (*) .

٧ - أن يحثاها عند القراءة أن تبتعد عن مصادر الضوضاء؛ لأن الأصوات تؤدي إلى اضطراب الفكر، ومن ثم تكون القدرة على الاستيعاب ضئيلة، كما يرشدانها إلى ضرورة أن تكون الإضاءة صحية بحيث لا تتعب النظر عند القراءة، ويساعدانها على توفير هذه الإضاءة.

٨ - وبما أن المكتبة الإسلامية - بفضل الله - تزخر بالعديد من الكتب المفيدة التي تبحث في الإسلام؛ لذا كان جديراً بالوالدين أن يطالبا الفتاة بقراءة بعض الكتب الإسلامية الجيدة التي يكونان قد قرأها وعرفا ما فيها، ومن ثم يحضنانها على تلخيصها، وبيان الأفكار الرئيسة فيها^(١)، ويوضحان لها أن من أسباب النسيان عدم التلخيص والتدوين، ويذكران لها بعض فوائد التلخيص، ومنها:

أ - الحصول على الإطار العام لما يتحدث عنه الكتاب، وذلك عندما تقوم بكتابة الأفكار الرئيسة.

ب - تثبيت الكثير من الأسماء والمعلومات لديها، إضافة إلى اختصار الجهد الذي سوف تبذله في البحث عنها في صفحات الكتاب.

ج - تعويد يدها الكتابة، وصقل عقلها عن طريق الترتيب، والتنظيم،

(*) راجع مبحث التنشئة الفكرية للفتاة في مرحلة الطفولة في الجزء الأول.

(١) كيف يربي المسلم ولده، محمد سعيد مولوي، ص: ٢٤١.

واقْتباس الكلمات التي يجب أن تختارها^(١)، ذلك أن الوالدين إذا أرادا للفتاة كملاً في الشخصية الثقافية والزاد الفكري فإنه يجب عليهما أن يمرنهما على الكتابة^(٢).

٩- ومما يساعد الفتاة على ترسيخ حب المطالعة في نفسها أن يرغبها الوالدان في تحديث الآخرين بما تقرأ، حيث إن ذلك يعتبر من العوامل الرئيسة المساعدة على حب القراءة، فيبيننا لها أنها كلما قرأت وحدثت الآخرين بما قرأت فإنها ستشعر بأنها جنت ثماراً طيبة، ويذكرها ببعض فوائد تحديثها للآخرين بما تقرأه، ومن هذه الفوائد:

أ- تثبيت ما لديها من معلومات.

ب- استفادة المستمع من ذلك الحديث.

ج- إقفال باب الغيبة.

د- صقل لسانها، وتدريبها على حسن الإلقاء.

هـ- تعويدها التحدث باللغة العربية الفصحى^(٣).

١٠- ومما لا بد أن يحرص عليه الوالدان التدرُّج مع الفتاة، وذلك بتقديم موضوعات القراءة لها تدريجياً من السهل إلى الصعب؛ لأن ذلك يوافق النفس، ويتدرج معها بما يوافق فطرتها البشرية.

١١- كما عليهما أن يعرفاهما بهمة السلف في القراءة، ويوضحا لها أن العلم لم يصل إلى ما وصل دون عناء أو جهد؛ بل إن هناك أناساً جابوا البحار والقفار

(١) مواقف نسائية مشرقة، نجيب خالد العامر، تقديم: أحمد القطان، ص: ١٢٨، ١٢٩.

(٢) كيف يربي المسلم ولده، محمد سعيد مولوي، ص: ٢٣٦.

(٣) مواقف نسائية مشرقة، نجيب خالد العامر، ص: ١٣٠، ١٣١.

بحثاً عن العلم .

كما عليهما أن يذكرا لها بعض القصص الدالة على همّة السلف الصالح لتلقي العلم ، والصبر على ذلك لتتوقد هذه الهمّة في نفسها ، وليرتفع لديها مؤشر الصبر ، والعزيمة ، والإقبال على القراءة .

١٢ - أن يتيح لها فرصة تنويع مصادر الثقافة ؛ حيث إن تنويع القراءة المفيدة يجدد من نشاطها ، ويصقل عقلها ؛ وبذلك تتكون لديها سعة في الاطلاع الثقافي ، كما تتكون لديها عقلية تعي ، وتدرك ، وتستوعب ، وتحلل^(١) .

١٣ - ومما ينبغي أن يوجه الوالدان الفتاة إليه قراءة الكتب الإسلامية التي تساعد في البناء الفكري ، ولا سيما ما كان من كتب حديثة ؛ ذلك أن الكتب الحديثة تمتاز بقربها إلى أذهان الشباب ، وقدرتها على الشرح والبيان والتفصيل ، وكونها أشد صلة بالنفوس^(٢) .

وتجدر الإشارة إلى نقطة مهمة ، وهي : مسألة المجالات المتنوعة التي انتشرت في المجتمع ، واستهوت الكثير من الأولاد - بنين وبنات - وبالطبع لا يمكن أن يدّعي أحد أن كل هذه المجالات سيئة ، أو ضارة ، أو مفسدة أو تغريبية ، أو ذات اتجاه علماني متحرر ، أو مضيعة للوقت والجهد ، وصارفة عن العمل الجاد الإيجابي ؛ فهناك مجالات أدبية ، وعلمية ، وفكرية ، ودينية ، واجتماعية . . . إلخ ، يجد فيها طالب المعرفة العديد من الجوانب المفيدة ، ويحقق بها فائدة ؛ ومن هنا كان على الوالدين مسؤولية توجيه المراهقة لقراءة المجالات والجرائد المفيدة ، والابتعاد عن المجالات الرخيصة واللاأخلاقية ، مثل ما يسمّى بالمجلات الفنية ، أو

(١) المرجع السابق ، ص : ١٣٢ - ١٣٤ .

(٢) كيف يربي المسلم ولده ، محمد سعيد مولوي ، ص : ٢٣٥ .

المجلات الفكرية المنحرفة التي تخدم تيارات مشبوهة^(١) .

ومن المستحسن أن يشترك الوالدان في مجلة أسبوعية أو شهرية تتوافق مع المواصفات الشرعية، كما تتوافر فيها المواصفات الإخراجية الجيدة:

ومن أهم هذه المواصفات:

- أن تكون معروفة باتجاهها الإسلامي أو العلمي، وذات عرض شيق، وأسلوب جذاب.

- ألا يُعرف عمن يحررها الزيغ والانحراف.

- أن تعالج موضوعات وأخبار ومشكلات تتصل بالمرأة والرجل على اختلاف المستويات.

- ألا تُنشر فيها صور تمس الفضيلة والأخلاق.

- ألا يُعرف عنها كتابة موضوعات فيها دس على الإسلام^(٢) .

ومما لا بد أن يحرص عليه الوالدان: الأخذ بيد الفتاة لكي تنشئ لنفسها مكتبة خاصة بها؛ حيث إن هناك عدة فوائد عظيمة ممكن أن تجنيها حين يكون لديها مكتبتها الخاصة، كَبَثُّ الثقة في نفسها، وشعورها بتكامل شخصيتها، وأن لها شيئاً خاصاً بها هو جزء من ممتلكاتها. ويصبح الأمر أكثر سهولة فيما إذا كان الوالدان يمتلكان مكتبة خاصة بهما في البيت؛ فإن ذلك يُعدُّ من أكبر الحوافز لسير الفتاة في طريق تأسيس مكتبة خاصة بها.

ويجدر بالوالدين أن يدفعوا الفتاة إلى التعرف على مكتبتهما، وذلك بأن يطلبها منها أن تستخرج لهما - أو لأحدهما - كتاباً من المكتبة، أو أن تجد لهما بحثاً أو

(١) كيف يربي المسلم ولده، محمد سعيد مولوي، ص: ٢٤٣، ٢٤٤.

(٢) تربية الأولاد في الإسلام، عبد الله ناصح علوان، ١٠٧١ / ٢.

فصلاً في أحد هذه الكتب، أو أن تكتب بحثاً، وفي الحالة الأخيرة من المستحسن أن يذكر لها أسماء الكتب والمراجع التي يمكن أن تجدها في مكتبتهما، والتي تساعد في كمال عملها؛ ومن ثم فإن فكرة إنشاء مكتبة خاصة للفتاة، وتعرفها على مكتبة والديها، هي خطوة لا بأس بها في السير نحو طريق الشخصية الأدبية^(١).

وأما السبيل إلى توعية الفتاة فكرياً فيتصل بعدة وجوه، منها:

١ - التلقين الواعي:

ويكون بتعريف الوالدين للفتاة بمجموعة من الحقائق، من أهمها:

أ - خلود الإسلام، وكونه صالحاً لكل الأزمنة والأمكنة؛ لما يمتاز به من مقومات الشمول، والخلود، والتجدد، والاستمرار.

ب - أن الآباء الأولين لم يصلوا إلى ما وصلوا إليه من عز، وقوة، وحضارة إلا بفضل اعتزازهم بهذا الإسلام، وتطبيقهم لأنظمة القرآن.

ج - أن يكشف لها عن المخططات التي يرسمها أعداء الإسلام من الصهاينة، والمستعمرين، والشيوعيين، والصليبيين، ويؤكد لها بأن هذه المخططات تستهدف بجماليتها محو العقيدة الإسلامية في الأرض، وغرس بذور الإلحاد، وإشاعة الميوعة والانحلال في الأسرة المسلمة، والمجتمع المسلم، وأن الهدف البعيد والقريب من ذلك إخماد روح المقاومة والجهاد في شباب الإسلام، واستغلال ثروات البلاد الإسلامية لمصالحهم الذاتية، ثم بعد ذلك طمس معالم الإسلام في كل أرجاء المجتمعات التي ينتمي أهلها إلى الإسلام.

د - أن يكشف لها عن الحضارة الإسلامية التي كانت الدنيا بأسرها ترتشف من

(١) كيف يربي المسلم ولده، محمد سعيد مولوي، ص: ٢٤٤، ٢٤٥.

معينها حيناً من الدهر عبر التاريخ^(١).

هـ- أن يذكرها دائماً بأن أمة الإسلام لا تستعيد مكانتها، ولا يمكنها بحال أن تصل ذروة العزة والمجد إلا حين تتخذ الإسلام منهاجاً وتشريعاً، والقرآن الكريم دستوراً وأحكاماً.

و- أن يذكرها دائماً بأن هذا التخلف، والتمزق، والانقسام الذي أصاب المجتمع الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه، وهذا التسلط الصهيوني الاستعماري الذي فرض وجوده على بلاد المسلمين ما هو إلا نتيجة بُعد المسلمين عن الله سبحانه، وتعطيل الحكم بما أنزل الله، واستجداء النظم الأرضية والقوانين الوضعية من دول لا تقيم للديانات السماوية ولا للقيم الخلقية اعتباراً ولا وزناً، وما ذلك إلا مصداقاً لقوله ﷺ: «وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله، ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم»^(٢).

ز- أن يذكرها دائماً بأن المستقبل للإسلام مهما تأمر الأعداء.

ح- أن يحذرها دائماً من وجه النظر اليائسة التي تقول: انتهى كل شيء وعجزنا؛ وذلك لتحذير القرآن من ذلك في قوله - تعالى -: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٣) أَشْحَةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِاللِّسَانِ حِدَادٍ أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ ﴿[الأحزاب: ١٨، ١٩]﴾^(٣)؛ ومن ثم فإن الذي يجب أن تُربى عليه الفتاة

(١) تربية الأولاد في الإسلام، عبد الله ناصح علوان، ١/ ٢٨٦، ٢٨٧.

(٢) أخرجه ابن ماجه، ك/ الفتن، ب/ العقوبات، رقم ٤٠١٩.

(٣) ﴿الْمُعَوِّقِينَ﴾: المشبطين عن الرسول ﷺ، ﴿الْبَأْسَ﴾: الحرب والقتال، ﴿أَشْحَةً﴾: بخلاء عليكم بما ينفعكم، ﴿سَلَقُوكُمْ﴾: أذكركم ورموكم، انظر: كلمات القرآن، حسنين مخلوف، ص: ٣٠٣، ٣٠٤.

- لكي تربي عليه أبناءها مستقبلاً - أن التفاؤل بالنصر هو مقدمة النصر، وأن القوة المعنوية في كل أمة هي التي تدفع أجيالها إلى تحقيق المزيد من الانتصارات الخالدة.

فهذه الحقائق لا بد أن يُلقَّنها الوالدن الفتاة - ليل نهار - حتى تندفع إلى الإسلام بنفس متوثبة متفائلة، وهمة عالية، وقلب مؤمن راسخ، فترتبط بالإسلام، وتنساق شعورياً ووجدانياً في زمرة الداعيات إلى الله، وبذلك لا تعرف سوى شريعة الإسلام دستوراً ومنهجاً، ولا تتأثر بحال من الأحوال بالدعايات المغرضة، والشعارات الزائفة، والمبادئ الضالة، والعقائد الكافرة والملحدة^(١).

٢ - القدوة الواعية:

والمقصود من القدوة الواعية: أن يكون الأبوان مخلصين، واعيين، فاهمين للإسلام، مندفعين له، مجاهدين في سبيله، مطبقين لحدوده، يعطيان الفتاة الإسلام منهاجاً شاملاً عاماً، ويوجهانها توجيهاً سليماً واعياً، ويربطانها بالحق والشرع وتوجيهات السلف، وارتباط الفتاة بالقدوة الواعية يجعلها تربي على التقوى والجرأة في الحق^(٢).

٣ - المطالعة الواعية:

فظاهرة الاستطلاع تُعدُّ نوعاً من الدافعية الذاتية، والحاجة النفسية، ترمي إلى تأمين معلومات حول موضوع معين، أو فكرة معينة، وتظهر هذه الحاجة واضحة في سلوك المراهقين عندما يستطلعون، أو يسألون، أو يغامرون؛ فهي حاجة ذاتية تنبع من داخل النفس، تتطلب الإشباع والتوجيه والاستثمار.

(١) تربية الأولاد في الإسلام، عبد الله ناصح علوان، ٢ / ٨٣٩ - ٨٤٣.

(٢) المرجع السابق، ١ / ٢٨٩ - ٢٩١ - ٢٩٢.

ومما يعزز دافع الاستطلاع في مرحلة المراهقة التغيرات التي تحدث لجوانب المراهق المختلفة، وخصوصاً في النواحي المعرفية والعقلية؛ فالمراهق يمتلك قدرات جديدة ومتميزة، يستطيع بها فهم الأشياء وتفحصها، ومن ثم يتجه بعض المراهقين إلى اقتناء الكتب، والقصص، والصحف، والمجلات وقراءتها، والعكوف عليها، والاستمتاع بما تحويه من أحداث، وتحليلات، وقصص، وهم ينجذبون إلى هذه الأشياء بسبب ما تلبيه هذه الأنشطة من حاجة الاستطلاع، والمغامرة، والاكتشاف^(١).

لذلك كان لا بد للوالدين من العناية بحاجة المراهقة إلى الاستطلاع، وهذا لا يتأتى إلا بأن يهيئ لها مكتبة منزلية - كما سبق ذكره - يهتمان بها اهتمامها بالطعام والشراب، ويراعيان بأن تحتوي على موادٍ تهتم المراهقة، وتناسب ميولها في هذه المرحلة.

٤ - الرفقة الواعية:

فلا بد أن تختار الأم لابنتها المراهقة - أو بالأصح تهين لها - رفيقات صالحات، مأمونات، متميزات عن غيرهن بالفهم الإسلامي الناضج، والوعي الفكري، والثقافة الإسلامية، كما تحثها دائماً على اختيار مثل هؤلاء الرفيقات والاقتران بهن.

وتؤكد لها بأن من تصاحب البليدات ذهنيًا وفكريًا فإنها ستكتسب منهن البلادة، ومن تخالط القاصرات عن إدراك حقيقة الإسلام ونظرته الكلية إلى الكون، والحياة، والإنسان؛ فإنها سوف تكتسب منهن القصور والمحدودية، وتذكرها دائماً بأنه لا يكفي أن تكون الرفيقة صالحة قانتة مصلية، ولا أن تكون

(١) المراهقون، عبد العزيز محمد النعيمشي، ص: ١٢٠، ١٢١.

مثقفة ذكية عبقرية، بل ينبغي أن تجمع مع فضيلة الصلاح والتقوى فضيلة النضج العقلي، والوعي الاجتماعي، والفهم الإسلامي حتى تكون رفيقة سوية، وصاحبة ناضجة تقية^(١)، وتذكرها بقوله ﷺ: «الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»^(٢).

(١) تربية الأولاد في الإسلام، عبد الله ناصح علوان، ١/ ٢٩٣، ٢٩٤، (بتصرف).

(٢) أخرجه الترمذي، ك/ الزهد، رقم ٢٣٠٠، وقال: هذا حديث حسن غريب.